أثر الوازع الديني في تحصيل مقاصد رعاية الوالدين

د/ نادية سخان

الملخص :

تحتل الأسرة ضمن مقاصد الشريعة الإسلامية مكانه بارزة باعتبارها – الأسرة – هي المحضن الأول للنسل الذي يعد أحد المقاصد الكبرى في شريعتنا ، ومن جانب أخر فإن العناية بالوالدين تشكل الشق الثاني المجسد لتحصيل مقاصد الأسرة كاملة ، ومن ثم فإنه لا ينبغي العناية بجانب دون آخر، لذلك جاءت هذه المداخلة لتُعنى بجانب مهم يحقق هذه المقاصد وهو تفعيل دور الوازع الديني في تحصيل الغايات الروحية و النفسية ، و الصحية ، و مالية ...في وقت ساد الإهمال والتخلي عن الوالدين ، تأكيدا على عناية الشريعة بالعناية بالرعاية السابقة للأولاد حتى يجد الوالدان ثمرة ذاك عند كبرهما .

Abstract :

family occupies Within the purposes of Islamic law , His prominent place as a The first incubator of the offspring , Which is one of the major purposes in our law , On the other hand, caring for parents Collecting the purposes of the whole family, One side should not be taken care of without the other, So I took care of this intervention, By activating the role of religious faith in achieving spiritual, psychological, health and financial goals... at a time when neglect and abandonment of parents prevailed in nursing homes, Emphasizing the care of the Sharia to take care of the previous care of the children , So that the parents find the fruit of that when they grow up.

تمهيد :

إن فكرة المداخلة انطلقت من إشكالين أساسيتين أردت ملامستهما في هذه المداخلة .

أولهما :ترتبط بما وصل إليه المجتمع الإسلامي من حال العقوق والإهمال الذي يصيب الوالدين ، وفي نظري أن هذه النتيجة قد ساهم فيها الوالدان بالدرجة الأولى ، وغوصا في الأسباب لا يغيب على ذي لب أن كثيرا من الأسر تولي عناية بالغة بما يحقق الجانب المادي والجانب التعليمي ، في حين تغفل التركيز أقول التركيز على الجانب المعنوي وما يشكل الدعامة الأساسية لذلك هو الدين ، ويعتبر الوازع الديني كما سنرى الأساس لاستمرار الروابط العائلية عندما يكبر الأولاد .

الثاني : تلك الحلقة المفقودة في دراسة بعض محاور أحكام الأسرة أو العائلة مقاصديا فالمستقرئ لما كتب في مقاصد العائلة يجد عناية بمتعلقات رابطة الزواج وآثارها ، في حين لم تلق متعلقات الروابط الوالدية نفس الاهتمام السابق ، ومن ثم أسجل ضرورة انصراف الكتابات بأكثر عمقا بما يسهم في تجسيد هذا الجانب .

وانطلاقا من تحديد المدلولات ، مرورا تلخيص النظرة المقاصدية لأحكام العائلة في الكتابات المتاحة ، Hركز على دور الوازع الديني في تجسيد مقاصد العناية بالوالدين .

المطلب الأول : ضبط المفاهيم

الفرع الأول :تعريف الوازع الديني

أولا : تعريف الوازع

- **الوازع لغة** : له معنيان

الأول : بمعنى الكف فقد ورد في معاجم اللغة أن الوزع: كف النفس عن هواها [1]

الثاني :يأتي بمعنى: الإلهام ،كما في قوله تعالى :" رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي " (النمل 19) ، يقال أوزعه الشيء : ألهمه إياه و أولعة به [2]

ومن الألفاظ ذات الصلة ، الضمير ، الحياء ، الخوف والرجاء ، التقوى ، المانع ، الزاجر ...[1]

1 ابن منظور ، لسان العرب ، ط 1 ، دار صادر ،، بيروت ، ج 8 ، ص 390 .

2 ابن فارس ، معجم مقاييس اللغة ، دار الفكر ، 1979 ، ص 151 .

– **الوازع اصطلاحا** : قال ابن عاشور في: "الوازع اسم غلب إطلاقه إلى ما يزع من عمل السوء " [2] .

فالوازع معنى قائم بالنفس يمنع من الشر ويدفع إلى الخير ، على وجه التلقائية والعادة [3].

وبالنظر إلى تقسيمات العلماء ، فالوازع ثلاثة أنواع فطري أو جبلّي[4] ، وسلطاني [5]، وديني ، وهذه الأنواع الثلاثة متلازمة متكاملة تؤدي أهدافها باجتماعها [6]، وما يهمنا في مقام بحثنا هو الوازع الديني .

ثانيا : الديني :نسبة إلى الدين

– **الدين اللّغة** : يطلق على معان عدة : الجزاء ، الطاعة ، الإسلام ، الذل [7]، السلطان، الورع ، القهر، المعصية ، الحال، الملك، الحكم، السيرة، التدبير، الملّة ، الإكراه ، القضاء [8] .

– **الدين اصطلاحا** : " وضع إلهي سائق لذوي العقول باختيارهم إياه إلى الصلاح في الحال و الفلاح في المآل " [1] ، فالدين فطرة في الإنسان ، والمقصود به هو الدين الحق أي الإسلام ، لأنه لم يبق دين من الأديان الأخرى إلا محرفا مشوها ولا أثر له في حياة البشر فضلا عن أن يبني عليه وازع يزع الناس إلى صلاحهم، ويمنعهم عما يضرهم [2].

---

1 نبيل موفق ، رعاية الوازع الديني وأثره في التشريع الإسلامي ، رسالة دكتوراه ، إشراف عبد القادر بن حرز الله ، قسم العلوم الإسلامية ،كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية ،جامعة الحاج لخضر ، باتنة ، 2014 / 2015 ، ص 33- 42 .

2 الطاهربن عاشور ، أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، تحقيق محمد الطاهر الميساوي ، ط 1 ، دار النفائس ، بيروت ،2001 ، ص 137 .

3 طاهر ضروري ، محمود مغراوي ، منهج القرآن في تربية الوازع الديني ، مجلة البحوث العلمية والدراسات الإسلامية ، المجلد 14 ، العدد 3 ، 2022 ، ص 358 .

4 هو الجبلة التي خلق الله الناس عليها وجبلهم على فعلها . انظر : ابن عاشور ، التحرير والتنوير ، الدار التونسية ، تونس ، 1984 ،ج 21 ، ص 83 .

فهو صفة راسخة في الإنسان تجعله يحرص على مصالح معينة ، تدعو الجبلة إليها ، كميل الإنسان إلى الأكل والشرب ،والبعد عن النجاسات وستر العورة . الطاهر بن عاشور ، مقاصد الشريعة الإسلامية ، تحقيق محمد الطاهر الميساوي ، ط 2 ،دار النفائس ، عمان ، 2001 ، ص 384 .

5 كل من وكلت إليه إقامة نظام الشريعة من خلفاء و أمراء وقضاة وأهل شورى في الإفتاء والشرطة والحسبة ونواب الأقاليم . اسماعيل الحسني ، مقاصد الشريعة عند محمد الطاهر بن عاشور ، ط 1، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، 1995 ، ص 400 .

6 نبيل موفق ، مراتب الوازع وأثرها في تعميق فقه المواطنة ، مجلة العلوم الإنسانية ، جامعة محمد خيضر بسكرة ، العدد : 34/ 35 ، مارس 2014 ، ص 345- 348 . نبيل موفق ، رعاية الوازع الديني وأثره في التشريع الإسلامي ، ص52- 55 .

7 الجوهري، الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية ، أحمد عبد الغفور عطار، ط 4 ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ج5 ، ص 18 .

8 ابن منظور، لسان العرب، ج 4 ،ص 460 .

ثالثا : الوازع الديني اصطلاحا : قال ابن عاشور في مقاصد الشريعة الإسلامية: "الوازع الديني هو وازع الإيمان الصحيح المتفرع إلى الرجاء والخوف" [3].

وتجدر الإشارة إلى أن مفهوم الوازع الديني قد ورد استعماله عند الأصوليين بأسماء أخرى؛ فقد سماه السيوطي والعز بن عبد السلام بالوازع الشرعي ،وذُكر عند الشاطبي وابن القيم ، بوازع الإيمان، وازع الضمير، وازع الحياء، وازع الخوف[4].

تظهر وظيفة الوازع الديني الذي من شأنه مراقبة داخلية لتنفيذ الأحكام الشرعية واحترامها. فإذا أتى المكّلف بأعمال مخالفة لمقصد الشريعة نبهه الوازع الديني إلى ضرورة التراجع وحمله على ابتغاء موافقة قصد الشريعة طبقا لنظرة أهل المقاصد وعلى رأسهم الشاطبي إذ يؤكدون أن قصد الشارع من المكّلف أن يكون قصده في العمل موافقا لقصده في التشريع .

الفرع الثاني :المقصود بالرعاية

–أولا : الرعاية لغة : هي الاهتمام و المحافظة على الشيء ومراقبته وملاحظته [5]،

– ثانيا : الرعاية اصطلاحا : " ذاك النسق المنظم من الخدمات والأجهزة التي يتم إعداده لمساعدة الأفراد والجماعة على تحقيق مستويات مناسبة للصحة والمعيشة ولتدعيم العلاقات الشخصية والاجتماعية بما يمكنهم من تنمية قدراتهم وتحسين مستوى حياتهم بما يتماشى مع احتياجاتهم ومجتمعاتهم " [6].

كما وردت مادة رعى في القرآن الكريم بعدة معان متقاربة، منها كلمة ‘‘راعنا’’ التي جاءت بمعنى النظر في مصالح الناس قال سبحانه: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾ (البقرة: 103)، فكلمة راعنا من المراعاة، وهي الإنظار والتمهل، وقد حرفها اليهود ف وجاءت كلمة ‘‘رعاية’’ في قوله

---

1 التهانوي،كشاف اصطلاحات الفنون ، دار صادر، بيروت ، ج 2 ، ص 305 .

2 اليوبي، ، مقاصد الشريعة الإسلامية وعلاقتها بالأدلّة الشرعية، دار الهجرة، الرياض، ط1 ، 1998 ، ص ص192 – 193 .وانظر لمزيد بيان : نبيل موفق ، رعاية الوازع الديني وأثره في التشريع الإسلامي ،ص26– 27 .

3 الطاهر بن عاشور ، مقاصد الشريعة الإسلامية ، ص 387 .لمزيد بيان : طاهر ضروري ، محمود مغراوي ، منهج القرأن في تربية الوازع الديني ، ص 359 .

4 سلغريوفا، الوازع واثره في مقاصد الشريعه رساله ماجستير في الفقه وأصوله ،إشراف : هايل عبد الحفيظ داود ،كليه الدراسات العليا ، الجامعه الاردنيه ،2006 ، ص 46 .

5 ابن منظور، لسان العرب ،ج 12 ، ص 607. الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ، بيروت: دار المعرفة، ج4 ، ص335.

6 فريد لاندر ، الرعاية الاجتماعية مفهومها ، أهميتها ، خصائصها ، أهدافها ونماذجها ، https://www.starshams.com/ عامر عامر مصطفى ، رعاية المسنين في الشريعة الإسلامية والقانون الجزائري رقم 10/ 12 ،تحديدا ، مجلة القانون ، العدد 9 ، ديسمبر 2017 ، ص 369 .

تعالى: ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ (الحديد: 26)؛ فحرفوا معنى كلمة راعنا من أصلها الذي هو الرعاية والمساعدة إلى معنى الشتم والسب ، ولذلك نهي عنها المؤمنون[1].

الفرع الثالث: المقصود بالوالدين

الوالدان من الولادة ، فإما أن يحمل إطلاقه على الأب والأم البيلوجيان كلاهما على سبيل الحقيقة ، باعتبار أصل نشأة الولد هو ما يتولد منهما ، باتحاد الحيوان المنوي من الرجل وبويضة المرأة ، وإما أن يطلق على الأم على سبيل الحقيقة ، لأنها الحاضنة للولد في رحمها ثم تلده ، وعلى الأب على سبيل المجاز.

وتطلق الأم على الجدة في حالة فقدان الأم الوالدة ، كونها هي الوالدة للأم ، أو أم الجدة في حالة فقد الأم و الجدة ، وتطلق الأم كذلك على الخالة التي تتبنى رعاية أولاد أختها ، ويطلق الأب على ، ويطلق الأب كذلك على الجد الذي يرعى ابن ابنه في حال فقد الأب ، ويطلق أيضا على أبو الجد في حال فقدانهم ، كما يطلق على العم الذي يتولى رعاية أبناء أخيه في حالة فقده ، فهو بهذا الاعتبار بمنزلة الأب من جهة التوقير والاحترام [2].

قال المناوي "ا لعم والد ، أي هو نازل منزلته في وجوب الاحترام والإعظام لتفرعهما عن أصل واحد، وهذا خرج مخرج الزجر عن عقوقه " [3] .

المطلب الثاني: علاقة الوازع الديني بمقاصد أحكام العائلة

الفرع الأول : الدراسات المقاصدية و أحكام العائلة

ينظر الإسلام إلى الأسرة على أنها مؤسسة قائمة بذاتها ، أساسها الحب و والمودة، والتعاون والتكامل في الأدوار ، من منظور المسؤولية والتكليف الشرعي، فيؤدي أفرادها الواجبات التي هي في حقيقتها حقوق بقية أطراف المؤسسة ، ولا يخفى على متبصر أن مقاصد الأسرة في الإسلام كلية متجانسة تضمن حقوق كل فرد منها في هذا الإطار المتماسك المتناسق .

---

1 الصابوني، صفوة التفاسير، ط 2 ، دار الفكر، 1976، ج1، ص85.

2 عيسى أحمد محمد الفلاحي ، بر الوالدين قيمة مجتمعية عليا ، أحكامه وصوره العملية ، مجلة البحوث والدراسات العدد 58 ، ص 288-289 .

3 المناوي ،فيض القدير ، ط 1، دار المعرفة ،مصر ، ج 4 ، ص 392 .

إن منهج الكتابات المتقدمة والمتأخرة متباين في الطرح من حيث التركيز على أنواع من المقاصد دون أخرى ، والملاحظ العناية باستقراء المقاصد الخاصة مع التركيز على ما تعلق بالزوجين ، و كذا المقاصد الجزئية .

و من أوائل من تناول مقاصد الأسرة في إطار الحديث عن مقاصد الشريعة في الأحكام من العلماء : الإمام الغزالي في "الإحياء"، و الإمام الشاطبي في "الموافقات"، ومن المعاصرين: الإمام ابن عاشور في "مقاصد الشريعة"، وهذا الأخير تناول في فصل "مقاصد أحكام العائلة أهمية نظام الأسرة مبرزا أن انتظام أمر العائلات في الأمة أساس حضارتها ، بدليل الاعتناء بضبط نظام العائلة كان من مقصد الشرائع كلها.

إضافة إلى كتابات حديثة انطبعت بالظروف والفكرية والاجتماعية التي يعيشها العالم الإسلاميّ مثل كتابات الدكتور جمال الدين عطية في "تفعيل مقاصد الشريعة"، الذي انطلق من أحكام الأسرة وساقها في نطاق اعتبار الأسرة أحد المجالات التي نبحث عن مقاصد الشريعة العامة ، والدكتور عبد المجيد النجار،الذي عني بمقاصد الأسرة من حيث التركيز على التماسك الاجتماعي الذي يعنى بالتعاون على المصالح الدنيوية والأخروية بتنظيم الجانب المؤسسي للأسرة، وتفريغ القلب عن تدبير المنزل، وتنظيم الجانب المالي ، ومجاهدة النفس بالرعاية والقيام بحقوق الأهل

ما يؤدي إلى تقوية مؤسسة الأسرة بتماسك أعضائها، بحيث تصبح أساسا ونموذجا لتماسك المجتمع، ويتم ذلك عبر التعاون التام بين جميع أفرادها على تحقيق مقاصدها في المصالح الدنيوية والأخروية، وهذا ما يعني أنّ الأسرة في المفهوم الإسلامي ليست شأنا شخصيا يهمّ أفرادها فحسب، وإنّما هي شأن اجتماعي، و هو ما يتطلب بناء الأحكام الشرعية المنظّمة لمؤسستها على ما يؤدّي إلى مقاصدها في المجتمع بالإضافة إلى ما يؤدّي إلى مقاصدها في ذاتها ، بحيث يكون للأسرة دور اجتماعي فيما يسوده من التآلف، وما يربطه من صلات الودّ، وما يسود فيه من قيم الأخلاق، وما يحكمه من القوانين والآداب، دون أن تبقى حبيسة ذاتها [1].

ومن الأحكام الشرعية التي جاءت محققة لهذا المقصد، رعاية الوالدين ، وهو موضوع هذه المداخلة .

1 محمد شيخ أحمد محمد ، مقاصد الأسرة في الكتابات المقاصدية القديمة والمعاصرة من كتاب مقاصد الشريعة الإسلامية وأثرها في رعاية حقوق الإنسان : دراسة تأصلية مقارنة ، ، نشر مجمع الفقه الإسلامي في السودان 2012 ، موقع مركز المقاصد للبحوث والدراسات 18 جانفي 2020 .

الفرع الثاني :علاقة الوازع الديني بمقاصد رعاية الوالدين:

يتجلى ذلك من جانبين :

أولا : من جهة المصالح والمفاسد

– باستقراء موارد الشريعة الدالة على مقاصدها من التشريع تبين للعلماء أن كلياتها وجزئياتها المستقرأة أن المقصد العام من تشريع أحكام الأسرة — العائلة – هو صلاحها واستقامة أحوالها بما يحفظ نظامها المحصّل لحفظ نظام الأمة واستدامة صلاحه باستدامة صلاح المهيمن عليه وهو نوع الإنسان ، ولا يتأتى ذلك إلا باستحكام أمور عدة من أهمها الوازع الديني على اعتباره مرتبطا برجاء تحصيل صلاح الدنيا والآخرة وخوف تضييع الأمانة في الدنيا والمصير السيئ يوم القيامة .

– الوازع الديني يكوّن القدرة الذاتية لدى الفرد ليستطيع التحكم في سلوكه بما تقتضيه أحكام الشرع اتجاه والديه ، باعتبار الوازع الديني هو الضمير الحي المهيمن على سلوك الفرد فيوجهه لما فيه خير لوالديه– المصالح– ، ويعصمه عما فيه عقوق لهما– المفاسد– .

إن الوازع الديني له دوره الكبير في النفوس ، فإذا استمع المرء إلى صوت ضميره استشعر رقابة ربه وخشي عقابه ، اندفع إلى الالتزام بحقوق والديه حبا وطواعية مما يثمر تنفيذ أحكام الشريعة[1] .

ثانيا :من جهة تعليل الأحكام

– للوازع مدخل في تصور علل أحكام الروابط الوالدية : بحيث يظهر دوره في الأفعال قبيل المباشرة إلى حين انتهائها ، حيث يصبح الوازع عنصرا في تكوين علة الحكم الشرعي بالنظر إلى أن الباعث على الإقدام أو الإحجام في الأقوال أو الأفعال معتبر شرعا [2]، وهذا الأمر ليس مخصوصا بروابط الأسرة فقط ، بل يتعداه إلى العلائق التي تجمع الناس فالباعث المشروع أو الممنوع له دور في الحكم على الشيء ، ليكون المكلف منضبطا بقيود الشرع وحدوده ابتداء وانتهاء ، ولا يتأتى ذلك بمعزل عن وازع يعصم الزلل [3].

1 سلغريوفا، الوازع واثره في مقاصد الشريعة ، ص 36 ، 39 .

2 نبيل موفق ، رعاية الوازع الديني وأثره في التشريع الإسلامي ،ص 211 ، 231 ، 233 .

3 سلغريوفا، الوازع واثره في مقاصد الشريعة ، ص 159 .

إن هذه النتيجة مبناها اتفاق العلماء أن أحكام الشريعة قامت على رعاية مصالح حيث كان الأصل الالتفات إلى المعاني في المعاملات [1] – على وجه الخصوص– ، و كلما عرف المكلف علّة حكم ما من أحكام الشريعة ، وأدرك مقصده زاده ذلك تمسكا بأحكام الشريعة، لأنه عرف ما يترتب على تطبيق تلك الأحكام من مصالح دنيوية وأخروية ، يدرؤه من مفاسد في الدارين، وفي هذا المعنى يقول ابن قدامة : " معرفة باعث الشرع وحكمته يكون أسرع في التصديق ، وأدعى إلى القبول ، فإن النفوس إلى قبول الأحكام المعقولة، أميل منها إلى قهر التحكّم ومرارة التعبد، ولمثل هذا الأمر استحب الوعظ والتذكير، وذكر محاسن الشريعة ولطائف معانيها، وكون المصلحة مطابقة للنص على قدره تزيده حسنا وتأكيدا " [2] ، فهذا تأكيد على أن مقاصد الأحكام التي هي فرع عن تعليل النصوص، قد جاءت لتهذيب النفس وتنقيتها وهذا أكبر عامل من عوامل رعاية الوازع الديني [3].

الفرع الثالث :أهمية الوازع الديني وطرق تحصيله استصلاحا لمقاصد الوالدين

أولا : الأهمية

– الشريعة الإسلامية ترتكز على الوازع الديني الذي يحمل الأفراد على التزام أحكامها مهما كان مجالها .

– إن تنمية الوازع الديني أساس في تربية الشخصية المسلمة تتجلى فيها روح العبودية لله ومن ثم يدفع إلى الامتثال .

– يعتبر الوازع الديني مكملا للرادع والعقاب الشرعي وحتى القانوني .

– له بالغ الأهمية في إبراز منهج الشارع في القرآن والسنة في توصيف نموذج الروابط الأسرية السليمة.

– تقديم نموذج إصلاحي يحتذي به المختصون في إصلاح علاقات الأبناء بالآباء وتجسيد التماسك المجتمعي .

– يعزز القيم التنظيمية للأسرة من خلال استحضار الرجاء والخوف في كل تعامل والدي [4] .

1 الشاطبي، الموافقات، تحقيق : عبد الله دراز ، دار الكتب العلمية، 2004 ، ج2 ، ص 576 .

2 ابن قدامة، روضة الناطر وجنة المناظر، دار الكتب العلمية، بيروت،، ج 2 ، ص 319 .

3 نبيل موفق ، رعاية الوازع الديني وأثره في التشريع الإسلامي ،ص 220– 222 .

4 طاهر ضروري ، محمود مغراوي ، منهج القرآن في تربية الوازع الديني ، ص360 .

ثانيا: طرق تحصيل الوازع الديني استصلاحا لمقاصد الوالدين

– **حسن البيئة التربوية من الوالدين** :من طبيعة الإنسان التأثر ببيئته ومجتمعه الذي يعيش فيه والتأثر الاقتداء بمن يخالطه وأول من يزرع فيه ذلك هم الوالدان لذلك يحرص الآباء على غرس قيم الأسرة في الأبناء لينشئوا متشبعين بها مقبلين على البذل لأجلها ، فمن عاش في بيئة صالحه تأثر بها وهدي إلى الحق بإذن الله تعالى .

والبيئة هي المنزل او المكان الذي ينزل فيه الإنسان وهي كذلك تعبر عن الحالة فيقال بيئة سوء إي حاله سوء ويقال العكس فهو حسن البيئة بذلك يمكن القول إن البيئة يقصد بها المكان او الحالة التي عليها الإنسان الناجمة عن ما يكتنفه من ظروف ، كما أن سوء التربية يولد في الأبناء نزعه للفساد ويضعف وازعهم الإيماني تجاه والديم قبل كل شيء ، وفي أهميه البيئة المنزليه و أثرها على تنميه الوازع الديني قال الرسول –صلى الله عليه وسلم : " **كل مولود يولد على ألفطره أبواه يهودانه او ينصرانه أو يمجسانه** " [1] ، من هنا وجب الاهتمام بالروح الدينية التي تسود حياة الأسرة على أساس أنها الخلية ألأساسيه للمجتمع وصلح الوالدين وقيمهما بفرائض الدين وابتعاده عن المنكرات والآثام والتزامهما حدود ألفطره والأدب له التأثير بالقدوة على السلوك الأطفال وهكذا اهتم الإسلام بالبيئة ألمحيطه بالإنسان لتأثيرها القوي الدائم في الطبيعة الإنسانية وهي تشكيل شخصيه الفرد ، فكلما صلحت تلك البيئة قوي الوازع وصلح حال الأبناء وأثمرت الجهود مستقبلا [2].

– **تقوية الجوانب الإيمانية** : الإيمان ليس مجرد عبادة محضة يتجه بها المخلوق نحو خالقه فحسب ، وإنما هو اتجاه الناس للخالق مع الإخلاص والبعد عن كل رذيلة والعمل المثمر ، لذلك يذكر الإيمان في القرآن متبوعا بعمل الصالحات كنتيجته له ومن ثم تحقق هذا الجانب يدفع الأبناء إلى حسن رعاية والديهم ، كما أن ضعف الإيمان يؤدي إلى قسوة القلب الدافعة إلى ترك رعاية الآباء [3].

إن الإيمان هو صاحب السلطان على القلب وعلى الإرادة التي تحرك الأعمال ،فان نزاعه طائف من الهوى فانه لا يلبس ان يفسده ، قال الله تعالى " **إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون** " (الأعراف ا،201) ، من وسائل تحصيل الإيمان الاقتداء بالقدوة ألصالحه وهما الوالدين قبل أي أحد ، فمع وجود الابن في بيئة إيمانيه تقل فيها المعاصي وتكثر فيها الخيرات يكون مستقبلا ذا خلق محمود ، و بذلك يمكن ان نعرف مدى قوه ايمان الشخص بمقدار ما يتحلى به من مكارم الاخلاق .

---

1 أخرجه البخاري ،كتاب :الجنائز، باب :ما قيل في أولاد المشركين ، رقم 1319.

2 نبيل موفق ، رعاية الوازع الديني وأثره في التشريع الإسلامي ، ص 61– 63 . سلغريوفا، الوازع واثره في مقاصد الشريعة ، ص 66– 69 .

3 طاهر ضروري ، محمود مغراوي ، منهج القرأن في تربية الوازع الديني ، ص 364 .

إن الايمان مدرسه خلقيه وتربيه نفسيه تملي على صاحبها الفضائل الخلقيه ، كما أن التمسك بمحاسن الاخلاق يقي كثيرا من اسباب الإنحراف مستقبلا ، وبهذا نجزم بأهميه التربيه الخلقيه التي أساسها الايمان بالله تعالى والفاعلة في تقوية الوازع الديني الداخلي بحيث يكون رقيبا على النفس في كل التصرفات [1] .

قال أبو الأعلى المودودي عن الايمان : " إنه حارس يدفعه الى عمل الخير ويحث على الائتمار باوامر الله جل وعلا وهذا الحارس الداخلي ، هو الوازع والنفسي الذي يشد عضد قانون الاسلام الخلقي ، و يجعله نافذا بين الناس في حقيقه الأمر وان كان مع ذلك من تاييد الحكم والرأي العام ما يسهل تنفيذه فذلك اجدى وازكى والا فالحقيقه وان هذا الايمان وحده يضمن هدايه الفرد المسلم والامه المسلمه الى سواء الطريق "[2] .

– الاهتمام بعوارض الضعف البشري التي قد تؤدي إلى انتكاسات العلاقة مع الوالدين : خلق الله عز وجل عند الإنسان دوافع غريزية فطريه تدفعه الى السلوك كالحب والبغض والميل إلى الشهوات ...و اذا لم تهذب وتوجه اصبحت مصدرا للفوضى السلوكية ، لذلك وضع الله في فطره الإنسان القدرة على تعديل دوافعه الغريزية وتهذيبها ، وليس هناك من هو أقدر على هذه المهمة من الوالدين في تهذيب الأبناء في مرحلة الصغر ، بتعويدهم على القيم السامية ، متمثلة في القانون الأخلاقي الذي يضبط حياة الأبناء ، هذا القانون او الضابط هو الوازع الديني الذي يربى عليه الطفل فيوجهه نحو الخير ويروض غرائزه بما يعصمه من الزلل مستقبلا [3].

– **التبصر بمآلات مخالفة الشرع تجاه الوالدين :** يعتبر بعد النظر، والتبصير بمآلات مخالفة الشارع، من الوسائل المعينة على رعاية الوازع الديني وتقويته، فكلّما كان نظر الإنسان يتعدى المفاسد الدنيوية، ويصل الإيمان اليقيني بما أعده الله تعالى للمتقين ، كان الوازع الديني يزع صاحبه إلى الخير ويمنعه من الشر، كما أنّ النظر في مآلات الأفعال بالنسبة للمكلّفين يساعد على ضبط تصرفات الإنسان وأفعاله،ويراقب من خلال ذلك ما قصده الشارع من التشريع ، حتى يكون فعله موافقا لقصد المشرع [4] .

ولما كانت التكاليف مشروعه لمصالح العباد ومصالح العباد إما دنيويه وإما أخروي و أما الاخروية فترجع إلى مآل المكلف في الآخرة ، ليكون من أهل النعيم فيكون عمله في الدنيا موافقا لما طلبه الشارع ، و أما الدنيوية فإن الأعمال مقدمات لنتائج المصالح باعتبارها أسباب لمسببات وهو معنى النظر في المآلات[5] .

---

1 سلغريوفا، الوازع واثره في مقاصد الشريعه ، ص 70، 75 ، 88 .

2 أبو الأعلى المودودي ، نظام الحياه في الاسلام ، مؤسسة الرسالة ،ص 16.

3 سلغريوفا، الوازع واثره في مقاصد الشريعه ، ص 75– 80 .

4 نبيل موفق ، رعاية الوازع الديني وأثره في التشريع الإسلامي ، ص 156 .

5 الشاطبي، الموافقات، ج4 ، ص519 .

ويجب على المسلم أن يكون بصيرا بمآلات الأفعال التي أراد الشارع منه الإتيان بها لأن نتائج الأعمال راجعه إلى العباد ، فإنها مصالح أو مفاسد تعود عليهم ، ومن هنا تاتي أهميه الوازع عند المسلم في تبصيره بمآلات مخالفه الشارع والإضرار والمفاسد التي تنجم عنها ، وأولى الأولويات التي أكد عليها الإسلام رعاية الآباء ومن هنا يكون التبصر بنتائج مخالفة أوامر الله اتجاه الوالدين مدعاة للإقبال على برهما .

– الزواجر الشرعية و إقامة العقوبات حال التجاوز أو التعدي : وهذا منهج الشارع الحكيم ليس فقط في العلاقات الوالية ولكن في مختلف الأحكام التي تنظم شريعتنا .

إن الشريعة الإسلامية قبل أن تنظم أحكام العقوبات ، ربت المجتمع الإسلامي تربية إيمانية تعصمه من الزلل ،ولاشك أن أحكام العائلة تنتظم في هذا النسق ، فالشريعة الإسلامية تعمل على إيقاظ الضمير الذي يجعل الأبناء أكثر تمسكا بإحكام الله اتجاه والديهم [1] ، لكن في حال الشطط أو التجاوز فأنها نظمت من الأحكام ما يزجر ويردع تهديدا ووعيدا وترتيبا للعقوبات ، ويكفينا في هذا المقام التمثيل بالنهي القرآني في قول أف لأحد الوالدين ، فما بالك بما هو أعلى من ذلك ، فإن لم ينته فإن العقوبات شرعت لإصلاح الحال ، قال العز بن عبد السلام : " عقوبات الشرع كلها تأديب وإحسان ... وكلها إصلاح" [2] .

إن الوازع الديني إذا ضعف عند الأبناء وظهر عدم التزامهم بحقوق والديهم يجب أن يكون هناك الردع ، جلبا لمصلحه العائلة ودفعا للمفسدة وهي حماية الفضيلة التي تحصن المجتمع وتبعد عنه الرذيلة .

الفرع الرابع :أثر الوازع الديني في مقاصد الرعاية الوالدية

أولا : المعالم

– اعتماد الوازاع الديني كأساس لحفظ نظام الأسرة أصالة وتقوية الروابط الوالدية على وجه الخصوص :

فالمقصد العام من تشريع أحكام الأسرة هو حفظ نظامها واستدامة صلاحها بصلاح من يهيمن عليها وهم إفرادها ويشمل صلاح جميع الأفراد ، و للوازع أهميه بالغه في تحقيق ذلك فهو الدعامة الأولى في حفظ الأسرة ومصالحها حيث صلاحها أو فسادها بصلاح الوازع أو فساده فكلما ازدادت قوته بين أفراد الأسرة ازداد تماسكها [3] .

---

1 سلغريوفا، الوازع واثره في مقاصد الشريعة ، ص 91، 106.

2 العز بن عبد السلام ، شجره المعارف والأحوال وصالح الأقوال والأعمال، تحقيق إياد خالد الطباع ، ط2 ، دار الفكر، دمشق ، 1996 ، ص 221 .

3 سلغريوفا، الوازع واثره في مقاصد الشريعة ، ص 109 ، 149 .

قال الشيخ دراز: " لا قيام لحياه في الجماعة إلا بالتعاون بين أعضائها وهذا التعاون إنما يتم بقانون ينظم علاقتها ويحدد حقوقها وواجباتها وهذا القانون لا غنى له عن سلطان نازع وازع يكفل مهابته في النفوس ويمنع انتهاك حرماته ... وليس على وجه الأرض قوه تكافئ قوه التدين او تدانيها في كفاله احترام القانون وضمان تماسك المجتمع واستقرار نظامه والتئام أسباب الراحة والطمأنينة فيه " [1] .

إن استحضار الوازع الديني وقوته ، تدفع للالتزام بأحكام العائلة واجبات ومستحبات ، وتمنع من مخالفتها حبا ورجاء [2]، يقول العز بن عبد السلام : "الخوف وازع عن المخالفات لما لما رتب عليها من العقوبات والرجاء حاث على الطاعات لما رتب عليها من المثوبات " [3].

ثانيا : مقاصد الرعاية المنوطة بالوالدين

انطلاقا من بعض العبارات الموجزة المستقرة كقواعد مجتمعية تعاملية مستقرة أردت التذكير ببعضها "إن جزاء الإحسان في الإسلام الإحسان" ، المجتمع المسلم مجتمع متراحم متماسك متواد ،المسِنّ له مكانته عند الله ولا يُزاد في عمره إلاّ كان له خيراً ، توقير الكبير سمة من سمات المجتمع المسلم، العقوق من أكبر الكبائر ....) وغيرها كثير يمكن الإشارة إلى بعض هذه المقاصد ، يجمع تفاصيل الأمثلة التي ذكرتهما أمران اثنان هما: الحث على حقوق الوالدين ، النهي عن عقوق الوالدين، وتفصيل ذلك ما يلي :

- **الإشباع النفسي** : المنبعث أصالة من مقصد الحياة الذي يربو عن مجرد تحصيل العيش ، فالوازع الديني يدعم المقصد الأصلي المكفول لكل إنسان وهو الحق في الحياة بترسيخ حق الوالدين فيما يزيد على ذلك وهو تحصيل الاستقرار النفسي [4]، تأدبا ، احتراما وتوقيرا ، خفض الجناح لهما تّذللا ، وتواضعا ،قال جلّ شأنه :" **واخفض لهما جناح الذل من الرحمة** "(الإسراء ، 24) ، التحبّب لهما والتّودد إليهما، مثل البدء بالسّلام، وتقبيل يديهما، والتوسّع لهما في المجلس 5،النظر إليهما بالمحبة والحنان ، الاستماع لهما بصبر ، التدليل بجلب الهدايا

---

1 عبد الله دراز ، الدين بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان ، المطبعة العالمية ، مصر، ص 91 .

2 عمر مونة، الوازع واثر تنوع مراتبه في تحقيق مقاصد التشريع. مجله الواحات للبحوث والدراسات ، المجلد 8 ، العدد 2 ، 2015 ، ص 950 .

3 العز بن عبد السلام ، قواعد الحكام في مصالح الأنام ، تحقيق : طه عبد الرؤوف سعد ، مكتبة الكليات الأزهرية ، القاهرة ، 1991 ، ج1 ص 168 .

4 محمد لمين هيشور ، عبلة سقني ، الأسرة وفئة المسنين في المجتمع الجزائر قراءة سوسيولوجية حول التكفل ورعاية فئة المسنين بين الثابت والمتغير ، مجلة المداد ، 2021 ، ص 173 .

5 عيسى أحمد محمد الفلاحي ، بر الوالدين قيمة مجتمعية عليا بر الوالدين قيمة مجتمعية عليا ، أحكامه وصوره العملية ، مجلة البحوث والدراسات العدد 58 ، ص 314- 315 .

لهما وإدخال السرور عليهما ، **إصلاح شؤونهما والإصلاح بينهما ، الصبر على مرضهما** ، عدم رفع الصوت في خطابهما ولين القول لهما ..... " [1] كل ذلك تجسيدا لأمر الباري عزّ وجلّ : " **وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا** " (الإسراء ، 23)

- **التماسك الأسري و الاجتماعي**: يتجسد ذلك بسلوكات كثيرة منها : مرافقتهم ومشاركتهم نشاطاتهم اليومية ، بر صديقهما ، والذي يبلغ مداه ببرهما بعد موتهما ، عن طريق الدعاء والاستغفار لهما ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : " **إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث :صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له** " [2] ، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال :قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " **إنّ الله ليرفع الدّرجة للعبد الصّالح في الجنّة، فيقول :يا ربّ أنّى لي هذه؟ فيقول :باستغفار ولدك لك** " [3] ، صلة الأرحام التي لا توصل إلا ببرهما، وإكرام صديقهما .
- **الإشباع المالي** : كفاية الوالدين بالنفقة وتلبية مطالبهما متى كانا في حاجة إلى ذلك من الواجبات التي أكدها القرآن الكريم، وأمرت بها السنة النبوية المطهرة، وقد دل على وجوب النفقة على الولد إذا كان غنيا الكتاب، والسنة، والإجماع، والمعقول [4].
- **الإشباع الصحي** :وهي من أوجب الواجبات ، فتقديم الاحتياجات الصحية للوالدين يحتاج صبرا وحكمة بالغة بإدراك ما يحتاجونه تمامًا واتخاذ القرارات المباشرة فيما يتعلق بصحتهم وأمانهم داخل المنزل وخارجه [5].

الزواجر الشرعية و إقامة العقوبات :حال ارتكاب ما نهى عنه الشارع اتجاههما وهو ما يعرف بالعقوق .

عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " **أَلاَ أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الكَبَائِرِ، قُلْنَا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: " الإِشْرَاكُ بِاللَّهِ، وَعُقُوقُ الوَالِدَيْنِ** " [6] ، وقد اتفق أهل العلم أن عقوقهما من أقبح الكبائر والسيئات ، وأن العقوق يؤاخذ به الإنسان وإن عظم قدره في الزهد والعبادة ، وضابط العقوق المحرم، هو أن يحصل من الولد للأبوين أو أحدهما إيذاء ليس بالهيّن عرفا ، فكما أن للبر والإحسان صورا ، فللعقوق صور وحالات متعددة، ويشمل كل ما يصدق

---

1 ولي الله الدهلوي، حجة الله البالغة، دار الجيل، بيروت ، لبنان ، 2005 ، ج 2 ، ص 228 .

2 أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب البر والصلة، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته، رقم : 1631 .

3 أخرجه :أحمد في مسنده ، ج 2 ، ص 209 .

4 عيسى أحمد محمد الفلاحي ، بر الوالدين قيمة مجتمعية عليا بر الوالدين قيمة مجتمعية عليا ، أحكامه وصوره العملية ، ص 311- 313 .

5 محمد لمين هيشور ، عبلة سقني ، الأسرة وفئة المسنين في المجتمع الجزائري قراءة سوسيولوجية ، حول التكفل ورعاية فئة المسنين بين الثابت والمتغير ، ص 172- 173 .

6 أخرجه البخاري في صحيحه ،كتاب الأدب، باب عقوق الوالدين من الكبائر، رقم 5976 .

فيه هذا الجنس من الأقوال والأفعال، وكلها داخل في سوء المعاملة وقبائح الأخلاق [1] ، ويبلغ الأمر مداه إيداعهم دور العجزة، وتمني زوالهما .

ولا يسعني في نهاية هذه الورقة إلا أن أختم بكلام رائع للعلامة ابن عاشور حيث يقول : "ومقصد الإسلام من الأمر ببر الوالدين وبصلة الرحم ينحل إلى مقصدين:

- أحدهما: نفساني: وهو تربية نفوس الأمة على الاعتراف بالجميل لصانعه، وهو الشكر، تخلقا بأخلاق الباري تعالى في اسمه الشكور، فكما أُمر بشكر الله على نعمة الخلق والرزق، أُمر بشكر الوالدين على نعمة الإيجاد الصوري، ونعمة التربية والرحمة، وفي الأمر بشكر الفضائل تنويه بها، وتنبيه على المنافسة في إسدائها.
- والمقصد الثاني: عمراني، وهو أن تكون أواصر العائلة قوية العرى مشدودة الوثوق، فأمر بما يحقق ذلك الوثوق بين أفراد العائلة، وهو حسن المعاشرة ليربي في نفوسهم من التحاب والتواد ما يقوم مقام عاطفة الأمومة الغريزية في الأم، ثم عاطفة الأبوة المنبعثة عن إحساس بعضه غريزي ضعيف، وبعضه عقلي قوي حتى أن أثر ذلك الإحساس ليساوي بمجموعه أثر عاطفة الأم الغريزية أو يفوقها في حالة كِبَر الابن" .

الخاتمة :

– للوازع الديني ارتباط وثيق بمقاصد الشريعة باعتبارها تهدف إلى تحقيق المصالح ودفع المفاسد، فللوازع الديني نصيب وافر في تجسيد ذلك ، إذ هو الدعامة الأولى في حفظ نظام الأسرة، إن هيمن على قلوب الأبناء كان كفيلا بتجسيد مقاصد العائلة .

– تقتضي حماية الوالدين في ظل التحول المجتمعي ، زيادة عناية بما يقوي الجانب الخلقي لدى الأبناء ، باعتباره يشكل الأساس في العلاقات الأسرية بالنظر إلى حجم الاعتداءات، والاهما وعدم الرعاية قد أصبحت على نطاق واسع في المجتمع المسلم .

– إن مقاصد الشريعة المرتبطة برعاية الوالدين قد شملت مختلف المناحي الحياتية نفسية ، صحية ، مالية ...مجتمعية تحقق بمجموعها مدى عناية الشريعة الغراء بتحصيل مصالح الوالدين ودفع المفاسد عنهم .

---

1 الصنعاني، سبل السلام شرح بلوغ المرام ، تحقيق: عصام الصبابطي و عماد السيد ، ط 5 ، دار الحديث ، لقاهرة ، مصر ، 1997 ، ج 2 ، ص 630 .

- **قائمة المراجع :**

- اسماعيل الحسني ، مقاصد الشريعة عند محمد الطاهر بن عاشور ، ط 1، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، 1995 .
- أبو الأعلى المودودي ، نظام الحياة في الإسلام ، مؤسسة الرسالة.
- التهانوي،كشاف اصطلاحات الفنون ، دار صادر، بيروت .
- الخطيب شريف الشيخ ، صالح احمد ، السنن الالهية في الحياة الانسانية واثر الأيمان بها في العقيدة والسلوك ، ط 1 ، مكتبه الرشد الرياض ، 2004 .
- سلغريوفا، الوازع واثره في مقاصد الشريعة ، رسالة ماجستير في الفقه وأصوله ، إشراف : هايل عبد الحفيظ داود كليه الدراسات العليا ، الجامعة الاردنية ،2006 .
- الشاطبي، الموافقات، عبد الله دراز ، دار الكتب العلمية، 2004 .
- الصابوني، صفوة التفاسير، ط2 ، دار الفكر، 1976.
- الصنعاني، سبل السلام شرح بلوغ المرام ، تحقيق: عصام الصبابطي و عماد السيد ، ط 5 ، دار الحديث ، لقاهرة ، مصر ، 1997 .
- الطاهر بن عاشور ، أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، تحقيق محمد الطاهر الميساوي ، ط 1 ، دار النفائس ، بيروت ، 2001 .
- الطاهر بن عاشور ، التحرير والتنوير ، الدار التونسية ، تونس ، 1984 .
- الطاهر بن عاشور ، مقاصد الشريعة الإسلامية ، تحقيق محمد الطاهر الميساوي ، ط 2 ،دار النفائس ، عمان ، 2001
- طاهر ضروري ، محمود مغراوي ، منهج القرأن في تربية الوازع الديني ، مجلة البحوث العلمية والدراسات الإسلامية ، المجلد 14 ، العدد 3 ، 2022 .
- عامر عامر مصطفى ، رعاية المسنين في الشريعة الإسلامية والقانون الجزائري رقم 10/ 12 ،تحديدا ، مجلة القانون ، العدد 9 ، ديسمبر 2017 .
- عبد الله دراز ، الدين ، المطبعة العالمية ، مصر .
- العز بن عبد السلام ، شجره المعارف والأحوال وصالح الأقوال والأعمال، تحقيق إياد خالد الطباع ، ط2 ، دار الفكر، دمشق ، 1996 .
- العز بن عبد السلام ، قواعد الحكام في مصالح الأنام ، تحقيق : طه عبد الرؤوف سعد ، مكتبة الكليات الأزهرية ، القاهرة ، 1991

- عمر مونة، الوازع واثر تنوع مراتبه في تحقيق مقاصد التشريع. مجله الواحات للبحوث والدراسات المجلد 8 العدد 2 ، 2015 .
- عيسى أحمد محمد الفلاحي ، بر الوالدين قيمة مجتمعية عليا ، أحكامه وصوره العملية ، مجلة البحوث والدراسات العدد 58 .
- الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ، بيروت: دار المعرفة .
- محمد لمين هيشور ، عبلة سقني ، الأسرة وفئة المسنين في المجتمع الجزائر قراءة سوسيولوجية حول التكفل ورعاية فئة المسنين بين الثابت والمتغير ، مجلة المداد ، 2021 .
- مصطفى الزايدي ، غاية الوجود ، ط2 ، دار صادر للنشر والتوزيع ، 1994.
- المناوي ،فيض القدير ، ط 1، دار المعرفة ،مصر .
- نبيل موفق ، رعاية الوازع الديني وأثره في التشريع الإسلامي ، رسالة دكتوراه ، إشراف عبد القادر بن حرز الله ، جامعة الحاج لخضر ، باتنة ، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية ، قسم العلوم الإسلامية ، 2014 / 2015 .
- نبيل موفق ، مراتب الوازع وأثرها في تعميق فقه المواطنة ، مجلة العلوم الإنسانية ، جامعة محمد خيضر بسكرة ، العدد : 34/ 35 ، مارس 2014
- اليوبي، ، مقاصد الشريعة الإسلامية وعلاقتها بالأدلّة الشرعية، دار الهجرة، الرياض، ط1 ، 1998 .
- فريد لاندر ، الرعاية الاجتماعية مفهومها ، أهميتها ، خصائصها ، أهدافها ونماذجها ، /https://www.starshams.com
- ولي الله الدهلوي، حجة الله البالغة، دار الجيل، بيروت ، لبنان ، 2005 .